

معنى قوله: وَلَا تُسْرِفُوا

..... { وَلَا تُسْرِفُوا } أصل الإسراف في لغة العرب هو مجاوزة الحد. والإسراف المنهي عنه هنا فيه للعلماء وجهان: أحدهما أن المعنى { وَلَا تُسْرِفُوا } في الأكل والشرب. فتأكلوا فوق الحاجة، وتشربوا فوق الحاجة. لأن الإسراف في الأكل والشرب يثقل البدن، ويعوق صاحبه عن طاعات الله، والقيام بالليل؛ فيجعل صاحبه كلما كانت بطنه مלאى من الأكل والشرب كان ثقیل الجسم، لا ينهض لطاعة الله، فنهاهم الله عن الإسراف في الأكل، وكذلك يسبب الأمراض. وجرت عادة المفسرين أنهم يذكرون هنا في تفسير هذه الآية من سورة الأعراف قصة، ويذكرون فيها حديثا الظاهر أنه لا أصل له ولا أساس له إلا أن كثيرا ممن تكلموا على القرآن لا يميزون بين سقيم الحديث وصحيحه؛ فيكتبون منه كل ما رأوا من غير تمييز بين صحيحه وسقيم. والقصة المعروفة زعموا أنه كان عند هارون الرشيد طبيب نصراني، وأن الطبيب النصراني قال: ليس في كتابكم شيء من الطب، وأصل العلم علما: علم الأبدان، وعلم الأديان. وأنه كان عند هارون الرشيد علي بن الحسين بن واقد فقال له: جمع كتابنا الطب في نصف آية وهي: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } . لأن من المعلوم أن الطب نوعان: طب حمية، وهو توقي للداء قبل أن ينزل الداء، والثاني: طب علاج ومداواة بعد أن ينزل الداء. وأن من أعظم الطب الحمية هو ما قال: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } ؛ لأن من خفف أكله وشربه، كما قال صلى الله عليه وسلم: { بحسب امرئ لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا بد فثلث للطعام، وثلث لشراب، وثلث للنفس } فتخفيف الأكل يستوجب صحة البدن. وأنه قال له: جمع الطب كله في نصف آية؛ لأن خير الطب طب الحمية، وهذه الآية جاءت على أعظم طب الحمية، وأنه قال له: وهل يؤثر عن نبيكم شيء من الطب؟ قال: نعم، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " المعدة رأس الداء والحمية أصل الدواء وعودوا كل جسم ما اعتاد ". فيقولون هذا ويسكتون، وهذا نسبته إلى النبي ليست بصحيحة، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ بل لا أساس له على الصواب إن شاء الله تعالى. وعلى هذا القول؛ فالإسراف المنهي عنه في الأكل، لما يسبب من التكاثر عن طاعات الله، وما يسبب من الأمراض، وغير ذلك. الوجه الثاني أن معنى، { وَلَا تُسْرِفُوا } ؛ أي لا تجاوزوا حدود الله، فتحرموا ما أحل الله؛ كاللذات المحرم وكاللباس للطائف. فهذه أمور لم يحرمها الله، { وَلَا تُسْرِفُوا } في التحريم والتحليل بان تحرموا ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، كما لا يجوز الإسراف الكثير بملء البطن ملاً شديداً من الأكل والشرب؛ حتى يتكاسل الإنسان، ولا يتنشط لطاعة الله، وتأثيره الأمراض؛ لأنه { ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه } . فإن من كان كثير الأكل والشرب لا تراه يقوم الليل، ولا يتنشط للعبادات، ولا ينشط لسانه لذكر الله؛ فهو كسول ملول. وكذلك ربما نشأت له الأمراض، وهذا معنى قوله: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } ؛ { إِنَّهُ } جل وعلا: { لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } المجاوزين الحدود بتحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله. ويدخل فيه المسرفون بكثرة الأكل والشرب الشاغلة عن طاعة الله المثبته عن القيام بما يرضي الله جل وعلا، ونحو ذلك. وهذا معنى قوله: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } .